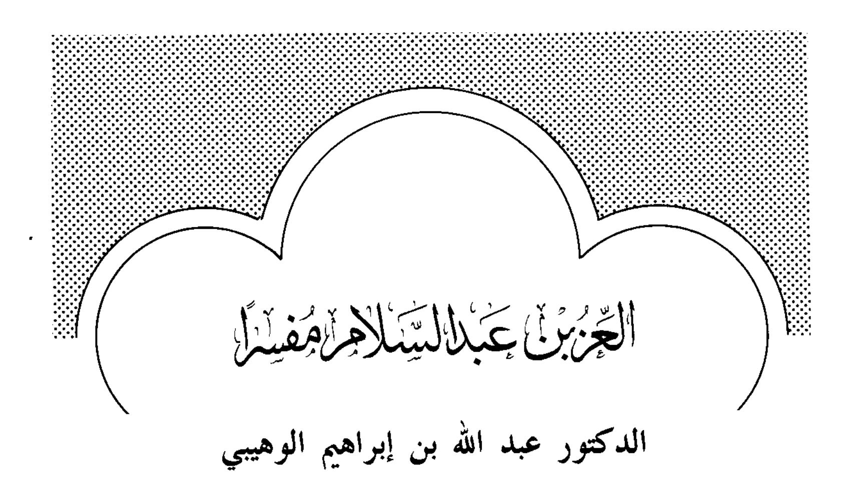


الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهيبي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وأستمد من الله العون والسداد والتوفيق إنه سميع مجيب وبعد :

فالعز بن عبد السلام علم من أعلام الإسلام ، ومن كبار المفكرين في القرن السابع الهجري ، وأحد سلاطين العلماء الذين حاربوا الظلم والطغيان ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر وغيروه ، وهانت عليهم أنفسهم في سبيل إعزاز الدين ونصرة المظلومين ، فهو القائل :

« ينبغي لكل عالم إذا أذل الحق وأخمل الصواب أن يبذل جهده في نصرهما ، وأن يجعل نفسه بالذل والخمول أولى منهما ، وإن عز الحق فظهر الصواب أن يستظل بظلهما وأن يكتفي باليسير من رشاش غيرهما »(١).

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨/٢٤٥) .

وقد اشتهر العز عند الباحثين بذلك ، كما اشتهر بأنه فقيه مجتهد ، أما كونه مفسراً فغير مشهور مع أن له تفسيرين :

أحدهما : اختصار تفسير الماوردي « النكت والعيون » وقد قمنا بتحقيقه .

والآخر : ألفه ابتداء في تفسير القرآن الكريم ولا يزال مخطوطا[(١)].

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يكشف الجانب التفسيري من حياة العز بن عبد السلام العلمية . وقبل الشروع في ذلك نمهد له بترجمة موجزة عن العز تتناول نسبه ومولده وأعماله ومواقفه وشخصيته العلمية .

ترجمة العز بن عبد السلام

نسبه :

هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن بن محمد بن مُهذب السُلمي المغربي الأصل الدمشقي ثم المصري الشافعي ، الملقب بسلطان العلماء وقد اشتهر بالعز بن عبد السلام[(٢)] .

---

(١) راجع : تفصيل الحديث عنه في كتابنا « العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير » (ص ١١٨ ، ٢٥٧) .

(٢) راجع الذيل على الروضتين لأبي شامة ص ٢١٦ ، وفوات الوفيات (١/٥٩٤) وطبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٠٩) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢٣٥) والنجوم الزاهرة (٧/٢٠٨) وحسن المحاضرة (١/٣١٤) وطبقات المفسرين للداودي (١/٣٠٩) .

مولـــده :

ولد بدمشق سنة (٥٧٧ هـ) وقيل سنة (٥٧٨ هـ) ، وتوفى بالقاهرة سنة (٦٦٠ هـ)[1] .

أعماله ومواقفه :

بعد أن تعلم العز ونضج ، بدأ يزاول حياته العملية في التدريس والإفتاء والقضاء والخطابة آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، فكان لا يخشى في الله لومة لائم. وقد اشتهر بمواقفه العظيمة في إقامة الحق وتغيير المنكر . فكانت له مواقف مع حكام عصره . فقد أنكر على حاكم دمشق الصالح إسماعيل بن الكامل تحالفه مع الصليبيين ضد أخيه نجم الدين أيوب حاكم مصر ، وتسليمه لهم بعض حصون المسلمين ليساعدوه في محاربة أخيه الذي كان يريد أن ينتزع دمشق منه ، فأنكر الشيخ عليه وعرَّض به في الخطبة ولم يدعُ له كالعادة . فلما علم الصالح إسماعيل بذلك أمر بعزله عن الخطابة واعتقاله ، ثم أفرج عنه بعد محاورات ومراجعات . فاتجه العز بعد ذلك إلى مصر ، فوصلها سنة ٦٣٩ هـ فرحب به حاكمها نجم الدين أيوب ، فولاه الخطابة والقضاء فبدأ العز نشاطه في مصر بإقامة السنة ومحاربة البدعة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم ، وكانت له مواقف عظيمة مشهورة منها بيعه لأمراء المماليك الذين كان يستعملهم الملك نجم الدين في خدمته وجيشه وتصريف أمور الدولة ، فأبطل العز تصرفهم بالبيع والشراء لأن المملوك لا ينفذ تصرفه شرعاً ،

(١) راجع الذيل على الروضتين لأبي شامة ص ٢١٦ ، وفوات الوفيات (٥٩٤/١) وطبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٠٩) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣٥/١٣) والنجوم الزاهرة (٢٠٨/٧) وحسن المحاضرة (٣١٤/١) وطبقات المفسرين للداودي (٣٠٩/١) .

وقد ضايقهم ذلك وعطل مصالحهم فراجعوه فقال : لابد من إصلاح أمركم بأن يُعقد لكم مجلس فتباعوا فيه ، ويرد ثمنكم إلى بيت مال المسلمين ، ثم يحصل عتقكم بطريق شرعي فينفذ تصرفكم . فلما سمعوا هذا الحكم ازدادوا غيظا وقالوا : كيف يبيعنا هذا الشيخ ونحن ملوك الأرض . ورفعوا الأمر للملك فغضب وقال : هذا ليس من اختصاص الشيخ وليس له شأن به فلما علم العز بذلك عزل نفسه عن القضاء وقرر الرحيل من مصر إلى الشام ، فتبعه العلماء والصلحاء والتجار والنساء والصبيان ، وجاء من همس في أذن الملك قائلا « متى راح الشيخ ذهب ملكك » ، فخرج الملك مسرعا ولحق بالعز وأدركه في الطريق وترضاه ، وطلب منه أن يعود وينفذ حكم الله . فرجع العز ونفذ شرع الله بأن باع أمراء المماليك ورد ثمنهم إلى بيت مال المسلمين . فهذا الموقف العظيم قد خلد ذكره وأقام منار الحق ، وأخضع الملك والأمراء المتكبرين على الشعب لحكم الله ، وحقق المساواة بين الحاكم والمحكوم أمام شرع الله . وقد اعتزل العز القضاء سنة (٦٤٠ هـ) وتفرغ للإفتاء والتدريس والتأليف . وقد تخرج عليه طلاب كثيرون . منهم شيخ الإسلام ابن دقيق العيد مجدد القرن الثامن ، فقد تأثر به في علمه وسلوكه . وهو الذي لقبه « بسلطان العلماء » . ومنهم جلال الدين الدشناوي ، وكان زاهدا ورعا وقد انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي بقوص إحدى مدن صعيد مصر . ومنهم أبو شامة المقدسي المؤرخ الكبير الجامع بين فنون العلم ، فقد لازم العز كثيرا وسافر معه وسجل كثيرا من أخباره .

شخصيته العلمية :

نبغ العز في علوم متعددة فترك فيها مؤلفات كثيرة غالبها رسائل

صغيرة وهو من الذين قيل فيهم علمهم أكثر من تصانيفهم .

قال الذهبي : « وقرأ الأصول والعربية ودرس وأفتى وصنف ، وبرع في المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقصده الطلبة من الآفاق ، وتخرج به آئمة وله التصانيف المفيدة والفتاوى السديدة »[(١)] . وقد ترك لنا مؤلفات[(٢)] متنوعة في الفقه وقواعده تدل على سعة علمه وبعد نظره ودقة ملاحظته وكثرة اطلاعه . قال أكثر مترجميه : إنه بلغ رتبة الاجتهاد ، وقال ابن الحاجب : إنه أفقه من الغزالي[(٣)] وذكرت كتب التراجم أنه أول من ألقى التفسير دروسا في مصر[(٤)] . فيظهر من هذا أن تدريس التفسير توقف فترة من الزمن بمصر واقتصر فيه على التأليف ، فأعاد العز تدريسه ، فكان أول من ألقاه دروسا بجانب العلوم الأخرى . وقد اشتهر العز عند الباحثين بأنه فقيه مجتهد ولم يشتهر بالتفسير مع أنه ترك لنا ثروة عظيمة في التفسير احتوتها مؤلفاته المتعددة في التفسير وعلومه ، فله تفسير كامل للقرآن الكريم كما قام باختصار تفسير الماوردي « النكت والعيون » الذي أنا بصدد دراسته وألف في مجاز القرآن كتابه « الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز » أبرز فيه ما اشتمل عليه كتاب الله من فنون البيان والمعاني وحقق ما فيه من إعجاز لم يستطع العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله رغم ما كانوا يجيدون من فنون القول .

---

(١) راجع : النجوم الزاهرة (٢٠٨/٧) .

(٢) راجع : تعداد مؤلفاته وتفصيل الحديث عنها في كتابنا « العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير » ص ١١٥ .

(٣) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٢١٤/٨) .

(٤) راجع : حسن المحاضرة للسيوطي (٣١٥/١) وطبقات الشافعية للأسنوي (١٩٩/٢) .

كما ألف في متشابه القرآن كتابه « فوائد في مشكل القرآن » أجاب فيه على اشكالات قد ترد على بعض الآيات . وجل هذه الاشكالات لغوية أو نحوية أو بلاغية .

والدارس لمؤلفات العز في التفسير وعلومه يلحظ تضلعه في اللغة وتمكنه من علم المعاني والبيان وسعة علمه بذلك لذا عُني بالمعاني البيانية واللغوية ، وقد يستطرد فيذكر أصول الكلمات اللغوية ، ويستشهد عليها بالشعر فهو يرى أن تفسير القرآن يتوقف على معرفة اللغة ، وقد أوضح ذلك في كتابه « الإشارة إلى الإيجاز » فقال « ص ٢٧٩ » وتتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة والإعراب .

قال ابن عباس : إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه ديوان العرب ، فما كان موجبا للعمل جاز أن يستدل عليه بالآحاد والبيت والبيتين من الشعر ، وما كان موجبا للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك » .

هذا وهناك ضروب أخرى للتفسير ، وقواعد للترجيح ذكرها في الفصول التي ختم بها كتابه « الإشارة إلى الإيجاز » من ص ٢٥٩ إلى آخر الكتاب . تركت إيرادها خشية الإطالة . وكلها تدل على سعة علم العز بالتفسير وتمكنه منه وبعد نظره فيه . والذي أعانه على ذلك تمكنه من اللغة وعلم المعاني والأصول ولكن يلاحظ عليه أنه لم يطبق تلك القواعد في تفسيره المختصر فاكتفى بسرد أقوال المفسرين ، وبيان المعاني التي يحتملها اللفظ دون ترجيح إلا في حالات قليلة كما سيأتي بيانه .

التعريف بتفسيره المختصر

هو اختصار لتفسير الماوردي « النكت والعيون » ولم يبين العز سبب اختصاره ، ولا منهجه في الاختصار .

ولعل سبب اختصاره ما يلي :

١ ـ قيمة تفسير الماوردي العلمية وأهميته ونفاسته .

٢ ـ ما فيه من تطويل يحتاج إلى اختصار وتهذيب .

٣ ـ مجاراة للعصر الذي عاش فيه العز ، فقد كثرت فيه المختصرات ، لأن العلوم قد كملت تقريبا ونضجت . فالمطلع على مؤلفات العز يجد أن بعضها مختصرات ، حتى أنه اختصر كتابه « قواعد الأحكام » في كتاب « القواعد الصغرى » .

وقد بدأ تفسيره بمقدمة ذكر فيها أسماء القرآن ومعنى السورة والآية والأحرف السبعة والإعجاز بكلام موجز . ثم شرع في تفسير القرآن الكريم سورة سورة من الفاتحة إلى آخر سورة الناس . ولا يوجد لهذا التفسير ـ حسب علمي ـ إلا نسخة واحدة بدار الكتب المصرية برقم (٣٢ ـ تفسير) ومكتوب على الورقة الأولى منها العنوان التالي (تفسير القرآن للشيخ الإمام سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي اختصار النكت والعيون للماوردي رضي الله عنهما) . ويقع في مجلد كبير عدد أوراقه (٢٣٠) ورقة أي (٤٦٠) صفحة من القطع الكبير ، وفي الورقة (٢٣) سطرا وكلمات السطر

تتراوح فيما بين (١٠) كلمات إلى (١٣) كلمة ، وخطه رديء غير مشكول وغير معجم غالبا ، والآيات القرآنية وأسماء السور مكتوبة بالمداد الأحمر . وليس عليها اسم الناسخ ، ولا تاريخ النسخ . وخطها يشبه خطوط القرن الثامن ، ورقها جيد إلا أن الورقات الأولى منها فيها خروم مرممة ، وكذا الورقات الأخيرة . وقد سقط منها ورقة تقريباً . وتمتاز هذه النسخة بقلة الأخطاء . وقد قمت بتحقيقه ، وهو تحت الطبع .

دراســـة تفســـيره

إن دراسة منهج أي مفسر تعني معرفة مصادره التي اعتمد عليها في تفسيره وطريقة استفادته من هذه المصادر والأسلوب الذي اتبعه في عرض هذه المعلومات والجانب الذي غلب على تفسيره . فبعض المفسرين يعتني بذكر أقوال السلف المأثورة فيغلب على تفسيره الأثر وبعضهم يعتني بذكر اجتهادات العلماء المتأخرين بجانب أقوال السلف فيغلب على تفسيره الرأي . كما أن المفسر يتأثر تفسيره بالعلم الذي تخصص فيه من حديث أو عقيدة أو فقه أو لغة أو بلاغة أو نحو أو تأريخ وغير ذلك من العلوم فعلى الدارس للتفسير أن يبرز هذا الجانب في دراسته ومدى ظهور اختصاص المفسر على تفسيره ، وتلون هذا التفسير بذلك الاختصاص .

وأن يتعرف على موقف المفسر من القصص الإسرائيلية التي استهوت بعض المفسرين فأخذوا يسطرونها في تفاسيرهم حبا لمعرفة المجهول ، أو متابعة لمن سبقهم من المفسرين ، وقد اختلفت اتجاهات المفسرين في هذه

الأخبار بين مكثر منها بدون تمحيص أو تعقيب ، وبين من نقلها مع بيان ما فيها من علل الإسناد وبطلان المعنى ، ومنهم من أضرب عنها صفحا فلا ترد في تفسيره إلا قليلا .

كما أن الدارس عليه أن يتابع مناقشات المفسر للأقوال التي ينقلها ومدى تمحيصه لها وما يرجحه من الأقوال ليتبين من هذا قوة شخصية المفسر وظهورها في تفسيره ، أو عدم ذلك ، كما هو حاصل في التفاسير التي تجمع الأقوال بدون مناقشة ، أو ترجيح إلا في حالات قليلة . هذه من أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها عند دراسة منهج أي مفسر ، وسأحاول أن أتابع هذه الأمور في اختصار العز لتفسير الماوردي ، مع المقارنة بينهما ليتضح ما امتاز به أحدهما على الآخر ، وستكون هذه الدراسة مطبقة على تفسيره من سورة مريم إلى سورة النور في المباحث الآتية :

مصادر تفسير العز

وحيث إن تفسير العز اختصار لتفسير الماوردي فمصادره هي نفس مصادر الماوردي ، وقد جمع الماوردي مادة تفسيره من مصادر كثيرة ومتنوعة منها مصادر في التفسير بالمأثور كتفسير الطبري (ت ٣١٠ هـ) فقد اعتمد عليه كثيرا . ومصادر جمعت بين اللغة والنحو ولها صلة وثيقة بالنص القرآني كالكتب التي ألفت في معاني القرآن وغريبه ومجازه ككتاب « معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) والأخفش (ت ٢١٠ هـ) وثعلب (ت ٢٩١ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) كما نقل عن كتاب « إعراب القرآن » لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ)

ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) وعن ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وله كتاب « غريب القرآن » و « تأويل مشكل القرآن » وعن محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) ، وله تفسير «القرآن» وعن مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) وله تفسير كامل للقرآن طبعت بعض أجزائه ، وعن محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١ هـ) صاحب السيرة ، وعن عيسى بن علي الرماني (ت ٣٨٤ هـ) وهو من المعتزلة وله « الجامع لعلم القرآن » وعن ابن بحر وهو أبو مسلم الأصفهاني (ت ٣٢٢ هـ) وهو من المعتزلة ، وعن سهل بن عبد الله التُسْتَرِي (ت ٢٨٣ هـ) وله تفسير صوفي مختصر مطبوع .

هذه أهم المصادر التي جمع منها الماوردي تفسيره ، وهي كما تلاحظ مصادر أصيلة لقدمها ، وأصالة هذه المصادر تضفي على تفسير الماوردي أهمية كبيرة حيث إنه سطر في تفسيره آراء نخبة من العلماء الأعلام حتى أن بعض هذه الكتب قد فقدت ، أو لم تحظ بالتحقيق والنشر فأصبح تفسير الماوردي مصدراً لهذه الآراء التي احتوتها تلك الكتب ، كما أن قِدَمَ مؤلف هذا التفسير حيث توفى سنة (٤٥٠ هـ) جعل تفسيره مصدرا هاما لمن جاء بعده من المفسرين ، فلا يكاد يخلو تفسير من التفاسير التي جاءت بعده من النقل عنه . فمنهم من اقتبس منهجه في حصر الأقوال في عدد ثم تفصيلها مع نسبة كل قول إلى قائله كابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) .

فقد نقل كثيرا من أقوال الماوردي ، فتارة ينسبها إليه وأخرى لا يفعل ذلك ، كما استفاد منه القرطبي المتوفى سنة (٦٧١ هـ) فنقل كثيراً من آرائه في تفسيره ، وممن نقل عنه ــ أيضا ــ ابن عطية (ت ٥٤١ هـ) والفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) وغيرهم من المفسرين .

طريقة عرضه للقراءات

لا يخفى ما للقراءات من أثر في تفسير القرآن الكريم وفهم معناه واستنباط الأحكام الشرعية ، لذا اهتم المفسرون بذكرها في تفاسيرهم ، وقد اختلفت طرقهم في عرضها ، فمنهم من يعتني بذكر القراءة ونسبتها إلى من قرأ بها مع مناقشتها وبيان معناها والترجيح بين القراءات فهو يعرضها عرضاً سريعا فيشير إليها مع ذكر معناها وقليلا ما ينسبها إلى من قرأ بها بالإضافة إلى ذكر معناها وإليك . أمثلة توضح ذلك .

١ ـ قال تعالى : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بئايٰتنا وقال لأوتينَّ مالا وولدا** ﴾[1] قال العز في تفسيره هذه الآية : « (وولدا) وولدا » واحد كعدم وعدم ، أو بالضم جمع وبالفتح واحد لغة لقيس . « وقال الماوردي « (وولدا) قرأ حمزة والكسائي (وُولدا) بضم الواو ، وقرأ الباقون بفتحها ، فاختلف في ضمها وفتحها على وجهين (أحدهما) أنهما لغتان معناهما واحد ، يقال وَلد ووُلد ، وعَدم وعُدم ، وقال الحارث بن حلزة :

ولقـد رأيت معاشـــرا قد ثمروا مالا ووُلدا[2]

والثاني : أن قيسا تجعل الوُلد بالضم جمعا ، والوَلد بالفتح واحدا » .

فنلاحظ أن العز قد ضبط شكل القراءتين وبين معناهما ولكنه لم يشر إلى أنهما قراءتان . وهذا نقص في عرض القراءة ، بينما نجد الماوردي بيَّن هاتين القراءتين ونسب كل قراءة إلى من قرأ بها بالإضافة إلى بيان معنى كل قراءة ، فهو أكمل وأوفى من تفسير العز . ولا يشفع للعز

(١) سورة مريم ، الآية [٧٧] .

(٢) راجع تفسيره (٢/٥٣٥) .

هنا أنه يقصد بهذا الاختصار لأن ما تركه لازم حتى في حالة الاختصار ، وليس في ذكره تطويل يحتاج إلى الاختصار .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ **فلنأتينَّك بسحر مِّثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لاَّ نخلفه نحن ولآأنت مكانا سوى** ﴾[١] قال العز في تفسير هذه الآية : « وسوى بالضم والكسر واحد ، أو بالضم المنصف وبالكسر العدل » .

وقال الماوردي : « ويقرأ سوى بضم السين وكسرها ، وفيهما وجهان (أحدهما) أن معناهما واحد وإن اختلف لفظهما . (والثاني) أن معناهما مختلف ، فهو بالضم المنصف وبالكسر العدل[٢] . » فنلاحظ أن العز ضبط شكل القراءتين وبين معناهما و لم يشر إلى أنهما قراءتان ، بينما أشار الماوردي إلى ذلك و لم ينسب كل قراءة إلى من قرأ بها فهو أكمل منه . فقراءة الضم قرأ بها ابن عامر وعاصم وحمزة . وقرأ بقية القراء بكسر السين .[٣]

وراجع : تفسير العز للآية (٦٣ ، ٨١ ، ١٣٠) من سورة طه ، والآية (٥٨ ، ٩٥) من سورة الأنبياء ، والآية (٦٧ ، ١١٠) من سورة المؤمنين ، والتعليق عليها .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **إنَّكم وما تعبدون من دون اللَّه حصب جهنَّم أنتم لها واردون** ﴾[٤] .

قال العز في تفسير هذه الآية : ﴿ **حصب جهنَّم** ﴾ وقودها أو حطبها ، أو يرمون فيها كما ترمى الحصباء فكأنها تحصب بهم و ﴿ **حضب**

---

(١) سورة طه ، الآية [٥٨] .

(٢) راجع : تفسيره (٣/١٨) .

(٣) راجع : تعليقنا على هذه الآية من تفسير العز .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية [٩٨] .

جهنَّم ﴾بالإعجام يقال : حضبت النار إذا خبت وألقيت فيها ما يشعلها من الحطب » .

وقال الماوردي : وقرأ ابن عباس ﴿ **حضبت جهنم** ﴾ بالضاد معجمة ، قال الكسائي : حضبت النار بالضاد المعجمة إذا أججتها فألقيت فيها ما يشعلها من الحطب[١] .

فنلاحظ أن العز قد ضبط هذه القراءة و لم يبين أنها قراءة بينما بينها الماوردي ونسبها إلى ابن عباس وهي قراءة شاذة ، وقد أوضحنا ذلك في تعليقنا على هذه الآية من تفسير العز .

٤ ـ قال تعالى : ﴿ **فاذكروا اسم اللَّه عليها صوآفَّ** ﴾[٢]. قال العز في تفسير هذه الآية : ﴿ **صوآفَّ** ﴾ مصطفة أو قائمة تصف بين أيديها بالقيود ، أو معقولة ، قرأ الحسن (صوافي) أي خالصة لله تعالى ـ من الصفوة ، ابن مسعود (صوافن) معقولة إحدى يديها فتقوم على ثلاث ؛ صفن الفرس ثنى إحدى يديه وقام على ثلاث » .

ففي هذا المثال ذكر العز ثلاث قراءات الأولى قراءة الجمهور كما في المصحف والثانية نسبها إلى الحسن . وهي شاذة وكذلك الثالثة[٣] وقد نسبها إلى ابن مسعود . وبين معاني هذه القراءات ذاكرا الخلاف في ذلك ، ومن هذا يتضح أنه قد يشير إلى القراءة وينسبها ولكنه قليل ، وقد قمت بتوثيق القراءات التي ذكرها ونسبتها إلى من قرأ بها ، وبينت حكمها من حيث الصحة والشذوذ .

---

(١) راجع : تفسيره [٦٢/٣] .
(٢) سورة الحج ، من الآية [٣٦] .
(٣) راجع : تعليقنا على هذه الآية من تفسير العز .

جمعه بين أقاويل السلف والخلف

مما امتاز به تفسير العز جمعه للأقوال الكثيرة في تفسير الآية . فبعض هذه الأقوال مأثورة كتفسير الرسول ـ ﷺ ـ وهو قليل ، أو تفسيرات الصحابة والتابعين ، وبعض هذه الأقوال اجتهادات للعلماء الذين جاءوا بعدهم من علماء السنة والمعتزلة والصوفية . فيرتب هذه الأقوال عاطفا بعضها على بعض بأو ، وقد ترك نسبة كثير منها إلى قائليها ، وهذا مما يؤخذ عليه ، لأنه يوقع في اللبس وعدم التمييز بين القول الصحيح والضعيف ، كما أنه لا يرجح بين الأقوال إلا قليلا . وقد امتاز عليه الماوردي بنسبة الأقوال إلى قائليها إلا في حالات قليلة ، كما أنه يحصر الأقوال في عدد ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث ... وهكذا ، وإليك أمثلة توضح ذلك .

١ ـ قال تعالى : ﴿ **وبشّر المخبتين** ﴾[1] .

قال العز في تفسير هذه الآية : ﴿ **المخبتين** ﴾ المطمئنين إلى ذكر الله تعالى ، أو المتواضعين ، أو الخاشعين ، الخشوع في الأبدان والتواضع في الأخلاق ، أو الخائفين ، أو المخلصين ، أو الرقيقة قلوبهم ، أو المجتهدين في العبادة ، أو الصالحين المقلين ، أو الذين لا يظلمون وإذا ظُلموا لم ينتصروا قاله الخليل » .

ذكر العز في معنى ﴿ **المخبتين** ﴾ تسعة أقوال ولم ينسبها إلى قائليها عدا القول الأخير نسبه إلى الخليل بن أحمد . بينما نسب الماوردي هذه الأقوال إلى قائليها فالأول : نسبه إلى مجاهد . والثاني : إلى قتادة .

(١) سورة الحج ، من الآية [٣٤] .

والثالث : إلى الحسن . وقال عن الرابع : إنه معنى قول يحيى بن سلام . ونسب الخامس إلى إبراهيم النخعي . والسادس : إلى الكلبي . والسابع إلى الكلبي ومجاهد . والثامن إلى مجاهد[١] . وهذه الأقوال متقاربة .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ **خلق الإنسان من عجل سأوريكم ءايٰتي فلا تستعجلون** ﴾[٢] .

قال العز في تفسير هذه الآية : ﴿ **الإنسان** ﴾ آدم خلق بعجل يوم الجمعة آخر الأيام الستة قبل غروب الشمس ، أو لما نفخ الروح في عينيه ولسانه بعد إكمال صورته سأل ربه أن يعجل تمام خلقه وإجراء الروح في جسده قبل الغروب ، أو العجل الطين ، قال :

والنبع في الصخرة الصماء منبتة   والنخل ينبت بين الماء والعجل

أو الإنسان الناس كلهم فخلق الإنسان عجولا . أو خلق على حب العجلة أو خلقت العجلة فيه ، والعجلة تقديم الشيء قبل وقته والسرعة تقديمه في أول أوقاته .

فيلاحظ أن العز ذكر في المراد بالإنسان في الآية قولين ـ القول الأول : أن المراد به آدم .. وقد اختلف في معنى (عجل) على هذا القول . فذكر العز ثلاثة أقوال بدون نسبة ، وقد نسب الماوردي القول الأول إلى مجاهد والسدي والثاني : إلى الكلبي[٣] .

والقول الثاني : الذي ذكره العز في المراد بالإنسان أنه الناس كلهم ، وذكر في معنى (العجل) على هذا ثلاثة أقوال بدون نسبة . وقد نسب الماوردي القول الأول إلى قتادة والثالث إلى ابن قتيبة[٤] . فقد ذكر العز

(١) راجع : تفسير الماوردي (٣/٨٠) .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية [٣٧] .
(٣) ، (٤) راجع تفسيره (٣/٤٥) .

هنا في المراد بخلق الإنسان من عجل ستة أقوال لجماعة من السلف والخلف ولم ينسب واحدا منها بينما نسب الماوردي أربعة منها فهو أكمل . ولم يناقش العز هذه الأقوال ولم يرجح بينها تبعا للماوردي . فكان الأولى به أن يفعل ذلك ؛ ليتضح الصواب ويزول اللبس فلا يقع القارىء لهذه الأقوال في حيرة . لذا نجد الطبري لما ساق هذه الأقوال ناقشها ورجح قول من قال إن الإنسان خلق عجولا أي طبع على العجلة في أموره مستدلا على ذلك بقوله تعالى في آخر الآية ﴿ **سأوريكم ءايٰتي فلا تستعجلون** ﴾ وقوله في آية الإسراء (١١) ﴿ **وكان الإنسان عجولا** ﴾ وكذلك فعل القرطبي في تفسيره راجع تعليقنا على هذه الآية من تفسير العز .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **فأوحينآ إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جآء أمرنا وفار التَّنُّور فاسلك فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم** ﴾[١] قال العز في تفسير هذه الآية : ﴿ **التَّنُّور** ﴾ تنور الخبز ، أو أحر مكان في دارك أو طلوع الفجر ، أو عبر به عن شدة الأمر كقولهم حمى الوطيس » فالعز ذكر في المراد بالتنور أربعة أقوال بدون نسبة . وقد نسب الماوردي القول الأول إلى الكلبي ، والثاني إلى أبي الحجاج ، والثالث إلى علي رضي الله عنه . والرابع إلى ابن بحر . ولم يرجح العز بين هذه الأقوال تبعا للماوردي وكان الأولى به أن يبين القول الراجح ليتضح الصواب والراجح من هذه الأقوال أن المراد بالتنور . تنور الخبز لأنه المعروف من كلام العرب . وكلام الله لا يحمل إلا على الأغلب والأشهر . من معاني الكلام عند العرب ، ولا يصرف إلى غيره إلا بدليل يدل عليه . وبه قال أكثر المفسرين راجع : تعليقنا على هذه الآية من تفسير العز .

(١) سورة المؤمنون ، من الآية [٢٧] .

٤ ـ قال تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[١] .

ذكر العز في المراد بها ستة أقوال . ولم ينسب هذه الأقوال . عدا القول الأخير فقد نسب جزء منه إلى الربيع بن أنس . وقد نسب الماوردي هذه الأقوال[٢] . ولم يرجح العز قولا من هذه الأقوال هنا ولا عند تفسير ﴿ الٓمٓ ﴾ من سورة البقرة حينما أورد فيها سبعة أقوال فلم يتبين لنا رأيه في فواتح السور ، وهي مسألة كثر كلام المفسرين حولها وكثرت أقوالهم فيها حتى أن الفخر الرازي في تفسيره (٣/٢ ـ ٨) أوصلها إلى إحدى وعشرين قولا ، فالمفسرون لم يجمعوا فيها على معنى واحد ولم يرو فيها عن الصادق المعصوم معنى فيتعين المصير إليه ، فهي محتملة لمعاني كثيرة ، فمن ظهر له من المفسرين قول من الأقوال بدليل فله اتباعه ، وإلا فالوقف حتى يتبين . والأولى عندي أن المراد بهذه الحروف الدلالة على إعجاز القرآن حيث إنه مركب من جنس هذه الحروف التي يتكلم بها العرب ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله كما قرره الزمخشري في تفسيره ﴿ الٓمٓ ﴾ من سورة البقرة . وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين ، ورجحه ابن كثير في تفسيره (٣٨/١) ونقل ترجيحه عن شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزي[٣] .

نقله لأقوال الصوفية :

والعز ينقل عند تفسير بعض الآيات أقوالا للصوفية في حالات قليلة بينما نجد الماوردي يكثر من ذلك ويصدرها بقوله . قال أصحاب الخواطر

---

(١) سورة مريم ، الآية [١] .

(٢) راجع : تفسيره (٥١٤/٢) .

(٣) راجع : تعليقنا على فاتحة سورة مريم من تفسير العز .

أو المعارف أو الإشارة أو المتعمقة أو يسمي من نقل عنه كالتستري . أو بشر بن الحارث الحافي . فيذكر هذه الأقوال دون تعقيب . وتارة يتعقبها إذا كانت بعيدة عن معنى الآية ، أما العز فإنه لا يذكر هذه الأقوال إلا في حالات قليلة فعدم ذكره لها يحتمل أنه من قبيل الاختصار ، أو عدم الاقتناع بها . وإليك أمثلة توضح ذلك .

١ ـ قال تعالى : ﴿ **والَّذين يُؤتون ماءاتوا وَّقلوبهم وجلة أنَّهم إلىٰ ربِّهم راجعون** ﴾[1].

قال العز في تفسير هذه الآية « ﴿**وجلة** ﴾ خائفة ، قيل وجل العارف من طاعته أكثر من وجله من مخالفته ، لأن التوبة تمحو المخالفة والطاعة تطلب بتصحيح الغرض » .

وقال الماوردي : « ﴿ **وقلوبهم وجلة** ﴾ أي خائفة . قال بعض أصحاب الخواطر وجل العارف من طاعته أكثر من وجله من مخالفته لأن المخالفة تمحوها التوبة ، والطاعة تطلب لتصحيح الغرض[2] .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ **فقولا له قولا لَّيِّنا لَّعلَّه يتذكَّر أو يخشىٰ** ﴾[3] .

قال العز في تفسير هذه الآية : ﴿ **لينا** ﴾ لطيفا رفيقا . أو كنياه وكنيته أبو مرة أو أبو الوليد : قيل كان لحسن تربية موسى ، فجعل الله ـ تعالى ـ رفقه به مكفأة له لما عجز موسى عن مكافأته » .

وقال الماوردي : بعد أن ذكر القولين السابقين : ويحتمل « (ثالثا) أن يبدأه بالرغبة قبل الرهبة ، ليلين بها فيتوطأ بعدها من رهبة ووعيد ، قال بعض

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية [٦٠] .
(٢) راجع تفسيره (١٠٠/٣) .
(٣) سورة طه ، الآية [٤٤] .

الصوفية : يارب هذا رفقك لمن عاداك ، فكيف رفقك بمن والاك »[١] .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **والبدن جعلناها لكم من شعآئر اللَّه لكم فيها خير** ﴾[٢] .

قال العز في تفسير هذه الآية : « ﴿ **والبدن** ﴾الإبل عند الجمهور ، أو الإبل والبقر ، أو ذوات الخف من الإبل والبقر والغنم حكاه ابن شجرة سميت بدنا لأنها مبدنة بالسِمن » .

بعد أن ذكر الماوردي ما سبق في معنى « البدن » قال : « وتعمق بعض أصحاب الخواطر فتأول البدن أن تطهر بدنك من البدع والشعائر أن تستشعر بتقوى الله وطاعته ، وهو بعيد »[٣] .

ذكر الماوردي في كل آية من هذه الآيات الثلاث قولا للصوفية وردَّ القول الأخير بقوله وهو بعيد . بينما اقتصر العز على قول واحد كما في الآية الأولى ، فذكره لأقوال الصوفية التي يوردها الماوردي عند تفسير بعض الآيات قليل .

ترجيحـه لبعض الأقـوال

مما سبق يتضح أن العز يجمع الأقوال الكثيرة في تفسير الآية ، بدون ترجيح ، ولكنه قد يرجح في حالات قليلة بألفاظ مقتضبة على طريقة الفقهاء في مختصراتهم ، ولعل هذا من أثر تخصصه في الفقه فتجده يرجح

---

(١) راجع : تفسيره (١٥/٣) .

(٢) سورة الحج ، من الآية [٣٦] .

(٣) راجع تفسيره (٨١/٣) .

بقوله : هذا أصح ، أو أصوب ، أو أظهر ، أو أشبه ، ويرد بعض الأقوال بقوله : وهذا شاذ ، أو غير ظاهر أو بعيد ، ولا يوجه ما يقول إلا نادرا ولذا لم تبرز شخصيته في تفسيره ، وإليك أمثلة تبين ذلك :

١ ـ قال تعالى : ﴿ **فأشارت إليه قالوا كيف نكلِّم من كان في المهد صبيًّا** ﴾[١].

قال العز : « ﴿ **فأشارت** ﴾ إلى الله ـ تعالى ـ فلم يفهموا إشارتها ، أو إلى عيسى على الاظهر ألهمها الله ـ تعالى ـ ذلك[٢] بأنه سيبرئها ، أو أمرها به » .

فالعز ذكر في مرجع الضمير في « إليه » قولين أحدهما أنه يعود إلى الله ـ تعالى ـ والثاني أنه يعود إلى عيسى عليه السلام وقد رجح القول الأخير تبعا للماوردي[٣]. لأنه هو الظاهر من الكلام وسياق الآيات ، أما القول الأول فبعيد ولا دليل في الكلام عليه . راجع تعليقنا على هذه الآية من تفسير العز .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ **قال سلام عليك سأستغفر لك ربِّي إنه كان بي حفيًّا** ﴾[٤].

قال العز في تفسير هذه الآية ﴿ **سلام** ﴾ توديع وهجر ، أو سلام إكرام وبر ، قابل جفوته بالإحسان رعاية لحق الأبوة وهو أظهر » .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **ففهَّمناها سليمان وكلاًّ ءاتينا حكما وعلما** ﴾[٥].

---

(١) سورة مريم ، الآية [٢٩] .

(٢) هكذا في الأصل بياض بمقدار كلمتين .

(٣) راجع : تفسير الماوردي (٢/٥٢٤) .

(٤) سورة مريم ، الآية [٤٧] .

(٥) سورة الأنبياء ، من الآية [٧٩] .

قال العز في تفسير هذه الآية : « ﴿ **ففهمنّاها سليمان** ﴾ لأنه أوتي الحكم في صغره وأوتيه داود في كبره ، وهذا شاذ ، أو أخطأ داود وأصاب سليمان على قول الجمهور » .

فالعز ذكر في سبب تخصيص الله سليمان بالفهم قولين . فحكم على القول الأول بأنه شاذ وقد نسبه الماوردي للمتكلمين ، ونسب العز القول الثاني إلى الجمهور ، فهو يرجح القول الثاني لأنه رد القول الأول ، وهو في ذلك متابع للماوردي . وراجع : تفسير العز للآية (٩٤) من سورة طه حيث ذكر فيها ثلاثة أقوال . فتعقب القول الثاني بالرد ورجح الثالث بقوله وهو الأشبه .

عنايته باللغة وأسلوبه في التعبير

العلم باللغة شرط من شروط التفسير لأن القرآن منزل بلسان عربي مبين ، فلا يوصل إلى معرفة معانيه ومقاصده وتدبر ما فيه إلا بمعرفة لغة العرب . والمطلع على تفسير العز يدرك من قراءته تمكن العز من اللغة وتعمقه في معرفة معانيها ، وإدراكه للفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة ، وعلمه بأصول الكلمات فكان لهذا أثر كبير في تفسيره حيث صاغه بأسلوب سهل واضح ولغة فصيحة ، وعبارة دقيقة مشرقة متوخيا في ذلك الدقة والاختصار ، فعبر عما في تفسير الماوردي بعبارة مختصرة تدل على المقصود بألفاظ قليلة ، فجمع بين الاختصار وحسن العرض مع الاستشهاد بالشعر لتوضيح معاني بعض الكلمات لأن الشعر ديوان العرب كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[١] ، ولم يكثر من ذلك

(١) راجع : الإشارة إلى الإيجاز للعز بن عبد السلام (ص ٢٧٩) .

كالماوردي لأنه بصدد الاختصار ، كما أنه قد يشير إلى بعض الوجوه النحوية وإليك أمثلة توضح المقصود .

الوجه الأول : أمثلة على بيان لأصول بعض الكلمات واشتقاقها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ **فناديٰها من تحتهآ ألاَّ تحزني قد جعل ربُّك تحتك سريًّا** ﴾[1].

قال العز في معنى : « ﴿ **سريًّا** ﴾ عيسى ، السروات : الأشراف ، أو السري : النهر بالنبطية ، أو بالعربية من السراية لأن الماء يسري فيه ، قيل يطلق السرى على ما يعبره الناس من الأنهار وثبا » فلاحظ بيانه لمعنى السروات ، وهم الأشراف وبيانه بأن السرى « النهر مأخوذ من سراية الماء فيه » . وبيانه بأن «السرى» يطلق على النهر الصغير الذي يعبره الناس وثبا ، فهذه معاني دقيقة عبر عنها بعبارة وجيزة واضحة .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **فإنَّما يسَّرناه بلسانك لتبشِّر به المتَّقين وتنذر به قوماً لُّدًّا** ﴾[2].

قال العز في معنى : « ﴿ **لُّدًّا** ﴾ فجارا ، أو أهل لجاج وخصام من اللدود للزومهم الخصام كما يحصل اللدود في الأفواه ، أو الجدل في الباطل من اللدد وهو شدة الخصومة » فيلاحظ أنه فسر لدا بأنهم أهل لجاج وخصام على أن لدا مشتق من اللدود وهو ما سُقي الإنسان في أحد شقي الفم . أو أنه مأخوذ من اللدود وهو شدة الخصومة ، فبين أن اشتقاق هذه الكلمة محتمل لأمرين والمعنى واحد . راجع : تعليقنا على هذه الآية من تفسير العز .

(١) سورة مريم ، الآية [٢٤] .
(٢) سورة مريم ، الآية [٩٧] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترا** ﴾[١] .

قال العز في معنى : « ﴿ **تترا** ﴾ منون متواترين يتبع بعضهم بعضا «ع» ، أو متقطعين بين كل اثنين دهر طويل ، تترا : أشتق من وتر القوس لاتصاله بمكانه منه ، أو من الوتر لأن كل واحد يبعث فردا بعد صاحبه ، أو من التواتر » .

فلاحظ الأصول الثلاثة التي ذكرها لاشتقاق كلمة « تترا » وإليها يرجع القولان اللذان ذكرهما في بيان المراد بإرسال الرسل تترا .

وراجع : تفسير العز للكلمة ﴿ **زرقا** ﴾ من الآية (١٠٢) سورة طه ، و ﴿ **حَدَب** ﴾ من الآية (٩٦) من سورة الأنبياء و ﴿ **منسكا** ﴾من الآية (٣٤) من سورة الحج وراجع ـ أيضا تفسيره للآية (٣٦) من سورة الحج .

الوجه الثاني : أمثلة على ذكره للفروق بين الألفاظ المتقاربة .

١ ـ قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصَّلوٰة واتبَّعوا الشَّهوات فسوف يلقون غيًّا ﴾[٢] .

قال العز في معنى : « ﴿ **خلف** ﴾ بالسكون إذا خلفه من ليس من أهله وبالفتح إذا كان من أهله ، أو بالسكون في الذم وبالفتح في الحمد » .

لاحظ تفريقه بين معاني «خلف» حسب اختلاف حركة اللام منها بين السكون والفتح .

---

(١) سورة المؤمنون ، من الآية [٤٤] .

(٢) سورة مريم ، الآية [٥٩] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **إنَّ السَّاعة ءاتيةٌ أكاد أخفيها لتجزىٰ كلُّ نفس بما تسعىٰ** ﴾(١) .

قال العز في تفسير هذه الآية : « ﴿ **أخفيها** ﴾ لا أظهر عليها أحدا فيكون ﴿ **أكاد** ﴾ بمعنى أريد ، أو أخفيها من نفسي «ع» مبالغة في تبعيد إعلامه بها ، أو أخفيها أظهرها ، أخفيته كتمته وأظهرته من الأضداد ، وأسررته كتمته وأظهرته أيضا ، أو المعنى آتية أكاد آتي بها فحذف للعلم به ثم استأنف ﴿ **أخفيها لتجزىٰ كل نفس** ﴾ . قال :

همت ولم أفعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكي حلائله

أي وكدت أقتله » .

ذكر العز في معنى ﴿ **أخفيها** ﴾ أربعة أقوال عرضها عرضاً بديعا بعبارة موجزة ودقيقة مع توجيه كل قول ، ثم ذكر أن الإخفاء والإسرار من الأضداد يأتيان بمعنى الإظهار والكتم . ووجه القول الرابع على أن في الكلام محذوفا ، وقدره واستدل عليه ببيت من الشعر . وهو يستشهد على بعض الوجوه النحوية ، ومعاني الكلمات بالشعر ولا يكثر من ذلك كالماوردي ، وقد أجريت بينهما مقارنة فأحصيت ما أستشهد به العز في سورة طه فكان خمسة أبيات بينما استشهد فيها الماوردي بسبعة وعشرين بيتا . ويؤخذ على العز أنه في بعض الأحوال قد يستشهد بأجزاء من أبيات ويدمجها في التفسير دون التنبيه على أنها جزء من بيت وهذا فيه تلبيس وخلط في الكلام ، ومن أمثله ذلك راجع : تفسيره ﴿ **غيًّا** ﴾ من الآية : ٥٩ سورة مريم . وتفسيره ﴿ **يستحسرون** ﴾ من الآية : ١٩ سورة الأنبياء ، وتفسيره ﴿ **ينسلون** ﴾ من الآية : ٩٦ سورة

---

(١) سورة طه ، الآية [١٥] .

الأنبياء . وتفسيره ﴿ **تنبت بالدُّهن** ﴾ من الآية : ٢٠ سورة المؤمنين .

٣ ــ قوله تعالى : ﴿ **وما تلك بيمينك ياموسىٰ . قال هي عصاي أتوكَّؤا عليها وأهشُّ بها علىٰ غنمي ولي فيها مَئَارِبُ أخرىٰ** ﴾[١] .

قال العز في تفسير هاتين الآيتين : « ﴿ **وما تلك** ﴾ سؤال تقرير ، وجوابه ﴿ **هي عصاي** ﴾ ولكنه أضافها إلى ملكه ، ليكفي الجواب إن سئل عنها ، ثم ذكر احتياجه إليها لئلا يكون عابثا بحملها . ﴿ **وأهشُّ** ﴾ أخبط ورق الشجر ، والهش والهس واحد ، أو المعجم خبط الشجر وغير المعجم زجر الغنم ﴿ **مئَارب** ﴾ حاجات نص على لوازم الحاجات وكنى عن عارضها من طرد السباع ، أو قدح النار واستخراج الماء ، أو كانت تضيىء له بالليل » .

لاحظ توجيه العز للاستفهام في قوله ﴿**وما تلك بيمينك**﴾ إلى المعنى المجازي وهو التقرير . ولاحظ إشارته الدقيقة إلى معنى الإضافة في ﴿ **عصاي** ﴾ وتفريقه بين الهش والهس . وتعبيره عن معنى ﴿**مَئَارِبُ**﴾ ، وصياغته لبعض الأقوال الإسرائيلية في المراد بمآربه الأخرى في العصا ، فقد صاغ هذه الأقوال بعبارة موجزة ، ولم يستطرد في ذكر الأخبار الإسرائيلية التي يذكرها أكثر المفسرين في عصا موسى عليه السلام[٢]. فقارن ما سبق بتفسير الماوردي يتبين لك أسلوبه في الاختصار وصياغته لتفسير الماوردي في ثوب جديد .

وراجع تفسير العز لقوله تعالى : ﴿ **وبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جبَّاراً شقيًّا** ﴾[٣] .

---

(١) سورة طه ، الآيتان [١٧ ــ ١٨] .

(٢) راجع : تعليقنا على هذه الآية من تفسير العز .

(٣) سورة مريم ، الآية [٣٢] .

وتفسير العز لكلمة ﴿ يَفْرُطَ ﴾ من الآية [٤٥ : طه] ، وتفريقه بين النفش والهمل كما في الآية [٧٨ : الأنبياء] .

طريقة عرضه لآيات الأحكام

أكثر العز من ذكر أقوال العلماء عند تفسير آيات الأحكام بدون نسبة الأقوال إلا في حالات قليلة ، فلذا لم تتضح أقوال أئمة المذاهب ، وفي عرضه لهذه الأقوال لا يرجح بينها غالبا ، ولا يستطرد في عرض التفاصيل الجزئية كما يفعل القرطبي في تفسيره والفخر الرازي وغيرهما ممن اعتنوا بتفسير آيات الأحكام واختصوها بالتأليف كالجصاص الحنفي المذهب ، وابن العربي المالكي والكيَّا الهراس الشافعي ، فقد تأثر تفسيرهم بالصبغة المذهبية بل إن بعضهم يتعصب لمذهبه ويأول الآية على ما يوافق مذهبه ، ويشنع على من خالفه . ولم يظهر شيء من ذلك على تفسير العز لآيات الأحكام مع أنه إمام من أئمة الشافعية فلم ينتصر لمذهبه بل عرض الأقوال دون مناقشة ولا استطراد رغبة في الاختصار ، وعدم تشتيت ذهن القارىء لتفسير آيات الله ، ولكن يؤخذ عليه عدم بيان القول الراجح بدليله إيضاحا للحق ودفعا للبس ، وكذا عدم نسبة الأقوال ، وإليك أمثلة توضح ذلك :

١ ـ قوله تعالى : **﴿إنَّ الَّذين كفروا ويصدُّون عن سبيل اللَّه والمسجد الحرام الَّذي جعلناه للنَّاس سوآء العاكف فيه والبادِ﴾**(١) .

ذكر العز في المراد بالمسجد الحرام قولين الأول أن المراد به نفس المسجد فعلى هذا معنى استواء العاكف ـ وهو المقيم به ـ والبادي ـ وهو الوافد إليه في حكم المسجد ، أو حكم النسك .

(١) سورة الحج ، الآية [٢٥] .

والقول الثاني : أن المراد به جميع الحرم فعلى هذا استواؤهما في الأمن في الحرم وأن لا يقتلا به صيدا ، أو استواؤهما في دوره ومنازله فعلى هذا لا يجوز بيع دور مكة ولاكرائها على خلاف بين الفقهاء ، وممن قال بذلك أبو حنيفة وخالفه الشافعي . فقال بجواز بيع دور مكة وكرائها وله أدلة على ذلك ليس هذا مكان بسطها .

فيلاحظ من هذا أن العز عرض الأقوال عرضا سريعا بدون نسبة ولا مناقشة وترجيح ، ولو رجعنا إلى تفسير الفخر الرازي (٢٣/٢٤) لوجدنا أنه يفصل الخلاف في هذه المسألة ذاكراً الأدلة ومرجحا قول الشافعي مع التوجيه .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿**والبدن جعلناها لكم من شعآئر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم اللَّه عليها صوآفَّ فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعترَّ**﴾[1] .

قال العز في تفسير هذه الآية : « ﴿ **والبدن** ﴾الإبل عند الجمهور ، أو الإبل والبقر ، أو ذوات الخف من الإبل والبقر والغنم حكاه ابن شجرة . سُميت بدنا لأنها مبدنة بالسمن ﴿ **شعآئر اللَّه** ﴾ معالم دينه أو فروضه ﴿ **فيها خير** ﴾ أجر ، أو ركوبها عند الحاجة وشرب لبنها عند الحلب » .

ثم ذكر معاني : ﴿ **صوآفَّ** ﴾ ثم قال : « ﴿ **وجبت جنوبها** ﴾ سقطت إلى الأرض وجب الحائط سقط ، وجبت الشمس : غربت ﴿ **فكلوا** ﴾ يجب الأكل من المتطوع به ، أو يستحب عند الجمهور ولا يجب ، كانوا في الجاهلية يحرمون أكلها على أنفسهم » .

---

(١) سورة الحج ، من الآية [٣٦] .

ذكر العز في معنى البدن ثلاثة أقوال الأول نسبه للجمهور . والثاني لم ينسبه .

وقد نسبه الماوردي إلى جابر وعطاء[1] والثالث نسبه العز إلى ابن شجرة وحكم عليه الماوردي بالشذوذ . ولو رجعنا إلى تفسير القرطبي لوجدناه قد فصل القول في هذه المسألة وذكر فيها رأي أئمة المذاهب فنقل عن الشافعي أنه قال بالقول الأول ، وعن مالك وأبي حنيفة أنهما قالا بالقول الثاني وذكر أدلة كل مذهب وثمرة الخلاف في ذلك ، ورجح قول الشافعي لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة : (من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة) الحديث . فتفريقه عليه السلام بين البقرة والبدنة يدل على أن البقرة لا يقال عليها بدنة ، والله أعلم وأيضا قوله تعالى : ﴿ **فإذا وجبت جنوبها** ﴾ يدل على ذلك ، فإن الوصف خاص بالإبل . والبقر يضجع ويذبح كالغنم ، على ما يأتي »[2] .

وذكر العز الخلاف في حكم الأمر في قوله ﴿ **فكلوا منها** ﴾ فأورد فيه قولين للعلماء نسب الثاني منهما إلى الجمهور ، بينما نجد القرطبي في تفسيره يفصل القول في هذه المسألة فينقل عن الشافعي أن « الأكل مستحب والإطعام واجب فإن أطعم جميعها أجزاه وإن أكل جميعها لم يجزه . وهذا فيما كان تطوعا ، فأما واجبات الدماء فلا يجوز أن يأكل منها شيئا حسبما تقدم بيانه »[3] .

(١) راجع : تفسيره (٣/٨١) .
(٢) راجع : تفسيره (١٢/٦١) .
(٣) راجع : تفسيره (١٢/٦٤) .

من ذلك يتضح الفرق بين طريقة العز في تفسير آيات الأحكام حيث يورد الأقوال دون مناقشة ، وطريقة القرطبي حيث يناقش الأقوال ويرجح بينها غالبا ، فهو أكمل من العز وإن كان يؤخذ عليه الاستطراد في تفصيل الخلاف وذكر جزئيات المذاهب مما يشتت ذهن القارىء عن تدبر معنى الآية وما تقصد إليه .

ونكتفي بهذين المثالين خشية الإطالة . وللمزيد من ذلك يمكن مراجعة تفسير العز لقوله تعالى : ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث** ﴾ الآيتان (٧٨ ، ٧٩) من سورة الأنبياء ، ومراجعة تفسيره للآيات (٢٨) إلى (٣٤) من سورة الحج . مع مقارنة ذلك بالتفاسير التي تعنى بآيات الأحكام .

موقفه من الإسرائيليات

الإسرائيليات هي الأخبار والأساطير التي تروى عن أهل الكتاب في أخبار الأولين وقصص الأنبياء والمرسلين ، وغالبا ما تكون هذه الأخبار كاذبة وباطلة لأن أكثرها ينقل من التوراة والإنجيل وقد أصابهما التحريف ، وقد اختلفت مواقف المفسرين من هذه الأخبار فبعضهم يكثر منها كالطبري والثعلبي ، ومنهم من ينقل منها على حذر ويتعقبها بالرد والنقد كابن عطية وابن كثير ، أما العز فقد قلل منها تبعا للماوردي بل إنه حذف بعض الأخبار التي أوردها الماوردي واختصر ما ذكره منها ، وإليك أمثلة توضح ذلك :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ **قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيُّهم يخيَّل إليه من**

سحرهم أنَّها تسعىٰ ﴾[1] .

قال العز عند تفسير هذه الآية في عدد السحرة : « وكانوا سبعين ألف ساحر ، أو تسعمائة : ثلاثمائة من العريش وثلاثمائة من الفيوم ويشكون في الثلاثمائة من الإسكندرية ، أو اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل ، كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء » .

ذكر العز في عدد سحرة فرعون ثلاثة أقوال . فالقول الأول رواه الطبري في تفسيره (١٦/١٨٤) عن القاسم بن أبي بزه . والقول الثاني عن ابن جريج وفي هذين القولين تفاصيل لم يذكرها العز هنا كما أن الطبري روى أخباراً أخرى في عددهم لم يذكرها العز عنه . أما القول الثالث فنسبه الماوردي في تفسيره (٣/٢١) إلى أبي صالح عن ابن عباس . وذكره الثعلبي في كتابه « قصص الأنبياء » (ص ١٦٤) عن مقاتل . ولم يرد خبر عن النبي ــ ﷺ ــ في تحديد عددهم . وهذه الأخبار التي ذكرها العز أخبار إسرائيلية وهي كما ترى متناقضة ولا فائدة من ذكرها ، ولو كان في ذلك فائدة تعود على المكلف في دينه أو دنياه لأخبر بها القرآن ، وظاهر القرآن أنهم كانوا كثيرين .

قال تعالى : ﴿ **قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدآئن حاشرين . يأتوك بكلِّ سحَّار عليم** ﴾[1] والله أعلم بعددهم .

فنلاحظ من هذا أن العز قد أورد هذه الأخبار الإسرائيلية باختصار وبدون تعقيب بينما نجد الطبري وابن كثير قد توسعا فيها ولم يعقبا عليها أيضا وكان الأولى بالعز أن يتعقب هذه الأخبار بالرد ، أو ينزه تفسيره

(١) سورة طه ، الآية [٦٦] .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتان [٣٦ ـ ٣٧] .

منها لئلا تشغل القارئ لتفسير كتاب الله عن تدبر معانيه ومعرفة مقاصده وهداياته راجع التعليق على هذه الآية من تفسير العز .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **وأيُّوب إذ نادىٰ ربَّه أنِّي مسَّني الضُّرُّ وأنت أرحم الرَّاحمين** ﴾[1] .

قال العز في قصة بلاء أيوب : « كان ذا مال وولد فهلك ماله ومات أولاده ، ثم بُلي في بدنه فقرح وسعى فيه الدود واشتد بلاؤه فطرح على مزبلة بني إسرائيل ، ولم يبق أحد يدنو منه إلا امرأته » .

ذكر الماوردي هذه القصة في تفسيره عن الحسن مطولة في إحدى وعشرين سطرا وقد رواها الطبري عنه في ثلاثة وأربعين سطرا كما رواها عن وهب بن منبه مطولة جدا في حدود ثمان صفحات من القطع الكبير ، وذكرها أكثر المفسرين في تفاسيرهم مطولة ، ولم يعقبوا عليها بالرد مع أن أكثر ما ورد فيها كذب وباطل لا يليق أن يُنسب إلى الأنبياء .

وقد اختصرها العز هنا في سطرين تقريبا . وما ذكره العز هنا من رمي أيوب عليه السلام على مزبلة بني إسرائيل ونفور الناس منه أمر لا دليل عليه من القرآن ، ولم يرد به خبر عن الرسول ـ ﷺ ـ ، وهو أمر لا يليق بنبي من أنبياء الله أن يصل إلى هذا المستوى من المهانة بأن يُرمى على المزبلة وينفر الناس عنه ، فأين عشيرته عنه أن تواسيه وتداويه وأين أتباعه المؤمنين به ، فالله تبارك وتعالى يبتلي رسله بالمرض والألم وغير ذلك من صنوف البلاء ولكن لا يبتليهم بما ينفر الناس عنهم ، فكان

(١) سورة الأنبياء ، الآية [٨٣] .

الأولى بالعز أن يَرُدَّ على مثل هذا الباطل ، أو ينزه تفسيره منه ، والصواب في قصة بلاء أيوب أن نقف على ما أخبر الله به عنه في هذه السورة ، وسورة (ص) ، فقد ابتلاه الله في ماله وولده وجسده فصبر على ذلك الابتلاء بما استحق عليه الثناء من الله تعالى ، وصار مضرب المثل ، فكشف الله عنه ذلك وأثابه أعظم الثواب ، فلا يجوز لنا أن نتزيد على ما أخبر به القرآن عنه مما لم يثبت به خبر صحيح عن النبي ـ ﷺ ـ وأكثر ما روي في تلك القصة من أباطيل بني إسرائيل مما لا تجوز حكايته فكان الأولى بمن ذكرها من المفسرين أن يبين بطلانها ، أو يعرض عنها لئلا يشغل الدارس لتفسير القرآن عن تدبر معاني آياته والعمل بما فيها ، فإن مثل هذه الحكايات الباطلة تثير اللبس والشكوك . نسأل الله العافية من ذلك. وقد ذكر هذه القصة القرطبي في تفسيره ، ونقل كلاما طويلا للقاضي ابن العربي في مناقشتها وإبطالها[1] .

وراجع ما ذكره العز من الإسرائيليات في مآرب عصا موسى عليه السلام وتعليقنا على ذلك عند تفسير الآية (١٨) من سورة طه ، وما ذكره عند تفسير الآية (٦٩) من هذه السورة وما ذكره من تفسير الآية (٩٤) من هذه السورة أيضا ـ وتعقبه بالرد . وتَعقيبُه على الإسرائيليات قليل جدا .

---

(١) راجع : تعليقنا على هذه القصة عند تفسير العز لهذه الآية .

نتيجة هـذه الدراسـة

بعد هذه الدراسة المختصرة .

يتلخص مما سبق أن تفسير العز يمتاز بالأمور التالية :

١ ـ رجوعه إلى مصادر أصيلة وقديمة في التفسير .

٢ ـ جمعه لأقوال السلف والخلف الكثيرة في تفسير الآية مع ترجيحه لبعض الأقوال .

٣ ـ عنايته باللغة بذكر أصول الكلمات واشتقاقها والفرق بين الألفاظ المتقاربة مع الاستشهاد بالشعر في بعض المواضع .

٤ ـ أسلوبه الواضح السهل في تفسير الكلمات وصياغة الأقوال بعبارة موجزة مع الدقة .

٥ ـ أنه لم يستطرد في تفسير آيات الأحكام .

٦ ـ أنه لم يكثر من الأخبار الإسرائيلية مع اختصار ما ذكره منها .

٧ ـ تنبيهه على المكي والمدني في أول كل سورة .

ويؤخذ عليه ما يلي :

١ ـ أنه لم يعتنِ بالقراءات حيث يذكرها بدون إشارة إلى أنها قراءة ، وبدون نسبة إلى من قرأ بها في مواضع قليلة .

٢ ـ ترك كثيراً من الأقوال بدون نسبة وترجيح .

٣ ـ أنه لم يخرج الأحاديث التي يستشهد بها ولم يعقب على الإسرائيليات والأقوال الضعيفة إلا في حالات نادرة .

٤ ـ أنه قد يستشهد بأجزاء من أبيات ويدمجها في التفسير دون التنبيه على أنها جزء من بيت ، وهذا يوقع في الاشتباه والخلط في الكلام .

المصــادر

١ ـ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) طبع دار الفكر بدمشق .

٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ط . : ١ سنة ١٩٦٦ م ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ، ومكتبة النصر ـ الرياض .

٣ ـ تفسير ابن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) ـ زاد المسير في علم التفسير : تسعة أجزاء ـ طبع المكتب الإسلامي بدمشق ـ ط/١ .

٤ ـ تفسير الطبري (ت ٣١٠ هـ) . جامع البيان عن آي القرآن ـ تحقيق أحمد شاكر وأخيه محمود ـ طبعة دار المعارف المصرية ، وهي ناقصة ، كما رجعت إلى طبعة مصطفى الحلبي الثالثة ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م وهي كاملة في ثلاثين جزءاً . وعند الرجوع إلى طبعة دار المعارف أنبه عليها .

٥ ـ تفسير العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) ـ بتحقيقنا تحت الطبع .

٦ ـ تفسير الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) ـ ٣٢ جزءا ـ طبع عبد الرحمن محمد ـ بالقاهرة .

٧ ـ تفسير القرطبي (ت ٦٧١ هـ) : الجامع لأحكام القرآن ـ ٢٠ جزءا ـ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

٨ ـ تفسير ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ـ أربعة أجزاء ـ طبع عيسى الحلبي بمصر .

٩ ـ تفسير الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) : النكت والعيون ـ بتحقيق السيد خضر محمد خضر .

نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت (٤ أجزاء ـ ١٤٠٢ هـ .

١٠ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ جزءان ـ طبع عيسى الحلبي بمصر ـ ط : ١ ـ ١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ .

١١ ـ الذيل على الروضتين لأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) طبع دار الجيل بيروت ـ ط : ٢ ـ ١٩٧٤ م .

١٢ طبقات الشافعية للأسنوي (ت ٧٧٢ هـ) تحقيق عبد الله الجبوري ـ جزءان ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ ط/١ ـ ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

١٣ ـ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٧٢٧ ـ ٧٧١ هـ) تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ـ عشرة أجزاء ـ طبع عيسى الحلبي ـ ط/١ .

١٤ ـ طبقات المفسرين للداودي (ت ٩٤٥ هـ) بتحقيق على محمد عمر ـ جزءان ـ مطبعة الاستقلال الكبرى بمصر ط/١ ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

١٥ ـ العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير ـ د . عبد الله إبراهيم الوهيبي ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ـ ١٣٩٩ هـ .

١٦ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ جزءان ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٥١ م .

١٧ ـ قصص الأنبياء لأبي إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) طبع عيسى الحلبي .